



حوريتي

توحيد هارون نويه



كانت تشعر بنظراته تخترق شعرها الأبيض الطويل وتبحث عن عينيها من خلف نظارتها التي تبدو أقرب لنظارة الشمس ملامحا

هذه النظرات مختلفة عن نظرات الآخرين لها

تلك كانت مليئة بالشفقة ربما أو الخوف

لكن نظرات هذا الشاب الفضولي لها مخالفة تماما لهم

كما أن الآخرون يحرصون دوما على ترك مسافة بينها وبينهم وكأنها مرض معدي أما هو فكلما التصقت بركن الحافلة بعدا عنه أقترب منها متعمدا

التفتت نحوه بضيق فربما يكون مختل عقليا

وصدمتها تلك الابتسامة البريئة التي رسمها على وجهه عند التفاتها إليه

يبدو طبيعيا

هكذا حدثت نفسها وهي تعاود النظر من خلف زجاج حافلة المواصلات متجاهلة إياه

سمعته يقول وكأنه يتحدث إليها

حوريتي

نظرت نحوه مرة أخرى

هذه المرة لم يبتسم بل نظر إلى سقف الحافلة وكأنه لم يقل شيئا

لم يبد لها متحرشا

كانت ملامحه مريحة

في عينيهِ نبل وأصالة رغم سروال الجينز الممزق الذي يرتديه على الموضه مع تيشيرت بني قصير الأكمام وحذاء رياضي أبيض اللون

كانت الحافلة تمضي نحو محطاتها الأخيرة وكانت هي على وشك التخلص من عينيهِ المتلصصة

مالت الشمس إلى الغروب  
وبدأت جيوش الظلام تحتل المدينة  
وصلت الحافلة إلى المحطة  
ترجل الجميع وكانت تنتظر منه أن يتحرك من مكانه ويسمح لها بالخروج  
لكنه تجاهل وجودها معه على المقعد ذاته وأخذ يمرر كل من خلفهم حتى فرغت المقاعد كلها  
- لو سمحت أفسح لي الطريق  
أبتسمت عينيه وكأنه كان ينتظر سماع هذا الصوت منذ ألف عام  
نهض من المقعد وتراجع خطوات إلى الوراء وهو يقول  
تفضلي  
تخطته عابرة نحو باب الحافلة وكان يتبع خطواتها من الخلف  
سمعت جامع النقود يحدثه :  
هل نسيت محطتك اليوم  
وسمعت رده  
لا لكنني غيرتها  
إنه يحاول العبث معها إذا  
ستلقنه درسا لن ينساه طوال حياته  
كان من الواضح أنه يمشي قربها ويتظاهر بعكس ذلك كلما نظرت  
إليه  
توقفت فجأة في منتصف الطريق المؤدي الى منزلها  
وتوقف هو  
- هل تتبعني؟  
عندما لم تجد ردا قالت بحزم  
- أنا أهدئك أنت لا غيرك ، فلا تتلفت حولك كالأبله  
- نعم  
- لماذا تتبعني؟  
- أنا لا أتبعك ، أنتي تتوهمين ، الطريق ملك للجميع إن ظننتي بأني أتبعك فأنتي حتما مخطئة  
كان كلاهما ينظر الى الآخر  
هو ينتظر أن تواصل سيرها وهي تنتظر ذهابه  
وطالت وقتتهما



أوصلها الرجل الى منزلها دون أن ينطق بكلمة واحدة  
دخلت منزلها وأغلقت الباب خلفها بإحكام وكأنه سيلحق بها إلى هنا  
حيث والديها بحب ثم توجهت الى غرفتها حيث أغتسلت وبدلت ثيابها وأسترخت على فراشها تحاول النوم  
لم تفارق صورته قلبها  
وكانها نقشت هناك منذ الأزل  
لاح شبح إبتسامة على شفثيها وهي تعيد كل تفاصيل لقاءهما منذ البداية  
حملت هاتفه بين أناملها الرقيقة وحاولت فتحه  
لكنه كان مغلق بكلمة سر  
وضعته جانبا وهي تذهب لتلبية نداء أمها لتناول الطعام  
تلك الليلة كانت بينهم ولم تكن  
لأول مرة في حياتها تشعر بأن شئ ما يحدث لها  
لقلبها  
لتفكيرها  
مزاجها  
كانت تحلق عالياً حيث لا تدرى إلى أين  
قبل أن تنام نظرت إلى وجهها وجسدها مطولا في المرأة  
كانت تعشقها  
تعشق أختلافها ولم تتذمر منه يوما  
ترى نفسها جميلة كما هي  
بإعدام صبغة الميلانين من كل جسمها  
بشعرها شديد البياض  
وعينيها الملونة  
كان ذهنها منفتحا على كل تلك الحقائق  
ولم تكن تهتم لنظرات الشفقة ولا إبتعاد الناس عنها  
كانت تثقتها بنفسها كافية لتجعلها تدرك بأنها قمر بين النجوم لايجرؤ على الأقتراب منه إلا من يستحق  
كانت أكبر أخوتها ومدللة والديها  
لهما الجزء الأكبر في دعمها إيجابيا ومساندتها حتى وصلت الى هذه المرحلة من حياتها وتخطت جميع الصعاب  
والمستحيالات في طريقها  
علموها أن أختلافها عن كل هؤلاء البشر جمال لا تدركه العقول الصغيره

علموها أن تتعامل بالروح لا بالجسد ولا المظهر  
كانت عائلتها هي كل ما تملك  
لا أصدقاء حقيقيون  
ولا علاقات دائمة  
شقيقاتها الأصغر كن مصدر الهامها  
وأُمها كانت صديقة عمرها  
في الخارج لا أحد يفهم حقيقة مرضها هذا  
ربما واحد في الألف من يدرك بأنها كائن طبيعي تماما لا ينقصه إلا صبغة الميلانين  
جمالها الداخلي انعكس على مظهرها الخارجي  
كانت أنيقة جدا في أبسط تفاصيلها  
مهتمة بالأزياء والمكياج وكل ما يخص الأنوثة  
جسدها منحوت كتمثال رسمته أنامل فنان ماهر  
كانت أنتى جميلة لحد لا يوصف  
رن هاتف الشاب

لم يكن الرقم مدون بإسم وخشيت أن يكون أحد أفراد عائلته فلم ترد  
تكرر الاتصال عدة مرات ثم ظهرت رساله أعلى الشاشة  
من كلمتين (ردي يا حوري تي)

أدركت بأنه هنا

عاود الاتصال مجددا

وضعت سماعة الهاتف على أذنها قائلة

- ماذا تريد

- أنتي

- لا لا أنت مجنون بلا شك أغرب عن وجهي

- أنتظري لاتغلقي الخط

- ماذا

- أردت الأطمئنان على هاتفي

- حقا ؟

- حقا ، أنتي فتاة متهورة شعرت للحظة بأنك قد ترمينه في أقرب مكان ولن أعثر عليه مجددا

- لست مجنونة مثلك ، هاتفك بخير سأعيده لك غدا صباحا عند موقف الحافلات

- حسنا ، لم تفتحيه أليس كذلك

- لاتهمنى أنت ولا هاتفك

- أعلم ،



- وداعا أرغب في النوم

- حسنا ، كلمة سر هاتفي nice day

- لاثهمنى كلمة سر هاتفك ولم أسمعها حتى

- nice day

أنهت المكالمة وهي تلحن تلك الساعة التي قابلت فيها هذا المجنون

قررت بأنها لن تنتظر الى هاتفه

لن تحاول معرفة مابه

إحدى أخواتها نائمة والأخرى تذاكر دروسها

وقفت أمام المرأة مرة أخرى

قسمت شعرها إلى نصفين متساويين ضفرت كل منهما بإحكام وتركتهما تقعان حتى خصرها النحيل

عادت إلى فراشها تستدعي النوم وتبعده عنها

وضعت الوسادة فوق رأسها وكأنها بذلك تمنع نفسها من التفكير فيه

بعد برهة جلست في منتصف سريرها وفتحت هاتفه

بينما كانت تتفقد ملف الصور وصلت رسالة الى هاتفه

لم تمنع عينيها من قراءتها

كانت الرسالة من ذلك الرقم الذي هاتفها به منذ قليل

" هذه ليست المرة الأولى التي أقابلك فيها ، التقينا عدة مرات في موقف الحافلات ذاته ، لكنك لم تنتظرين لأحد يوما ، كنت تصعدين الحافلة بهدوء وتغادريها بالهدوء ذاته ، وبهذا الهدوء تسللتي إلى قلبي ، ستجدين صوراً لك في ألبوم صوري بالهاتف ، لايهم ماستقولينه عني لكنني مغرم بك ، لحسن حظي أن الآخرون لا ينظرون اليك بالطريقة التي أنظر اليك بها ، لحسن حظي انك مختلفة عنهم جميعا لتكملي بإختلافك عالمي ، أنا صدقا أحبك لا مزاح يا حوري يتي "

بعد أن قرأت رسالته عادت إلى اليوم الصور تبحث بين صورته عنها ،

وكانت دهشتها عندما وجدت صورها هناك

صورها التي تعود الى أكثر من ثلاثة أشهر تقريبا

كيف لم تراه من قبل

كيف لم تنتبه إلى وجوده واهتمامه بها كل ذلك الوقت

جلست عاجزة في مكانها ذاك عن التفكير وعن فعل أي شيء

رجل غريب أعترف بحبه لها توا وهي لاتعرفه الا من ساعتين فقط

لماذا يحبها

كان ذلك السؤال يتكرر في عقلها كمطرقة حادة لاتكف عن إزعاجها

ترك كل هؤلاء الفتيات الجميلات وأحبها هي

لا يعقل

أفتعت نفسها بذلك وهي تزيل صورها من هاتفه

قررت بأنها لن تشارك معه في هذه المهزلة

ليست بحاجة لجرح جديد ولا إهانة من شخص آخر

هي الآن قوية ولن تسمح له أو لأي رجل غيره بأن يكسرها

وضعت هاتفه جانبا وأجبرت عقلها على النوم بينما ظل قلبها مستيقظا يفكر فيه

وقفت بحيرة أمام خزانة الملابس  
منذ وقت بعيد لم تفعل هذا الأمر  
أن تتوقف لتختار أجمل ثياب لها  
كانت تطرد فكرة أنها تفعل ذلك لأجله  
لأجل أن تسحر عينيه

وبما أنها ستذهب الى الجامعة فلا يسعها إلا إرتداء ملابس عملية ومقبولة  
أخذت تيشيرت أبيض على واجهته شفاه كبيرة باللون الوردي كانت تدرك بأنها ستبدو أكثر جمالا فيه  
تناولت من خزانتها اسكيرت فخم يعكس تفاصيل جسدها المنحوت ذو لون أزرق وحقيبة رقيقة تماثله في اللون  
بعد تردد قصير قررت أن ترتدي ما أختارته  
أحضرت والدتها كوب الشاي بالحليب مع البسكويت لها وحدها لأن أخواتها ذهبن باكرا إلى المدرسة  
أخذت حماما دافئا ووقفت أمام مرآتها تستعرض جمالها يمنا ويسرة  
تجرت كوبها بسرة وهي تقبل أمها الحنون وتطلب دعواتها ثم غادرت إلى موقف الحافلات يسابق قلبها خطواتها  
عندما وصلت كان هو هناك متكنا على حافلة متوقفة  
تأملته بحب

اليوم يختلف كثيرا عما كان عليه بالأمس  
لا وجود لسروال الجينز الممزق ولا التي شيرت  
قميص أسود أنيق وسروال بني من القماش وحذاء بني نظيف  
كان أكثر وسامة وهيبة  
تعلقت عينيه بها لدرجة كادت تسقط فيها أرضا  
وقفت أمامه وهي تمد له هاتفه فائلة

- تفضل

أعتدل في وقفته وهو يرد عليها

- وعليك السلام، صافحيني أقله ليكن يومي جميلا

وضعت كفها على كفه وسحبته بذات السرعة وهي تمد له الهاتف مرة أخرى

- خذ هاتفك ، لا وقت لدي

أخذه منها وقبل أن يفتح فمه ليقول كلمة أخرى كانت تذهب نحو الحافلة وتصعد إليها

مضى خلفها وجلس على المقعد الآخر قريبا

لم تعلق

ولم تترك له المكان لكنها نظرت الى الشارع

- لم تردي

كانت تفهم ما يعني لكنها ردت بإستغياء

- على ماذا

- على حبي لك

- أنت لاتعرفني حتى تحبني

- دعيني أعرفك إذا

توجهت نحوه شارحه

- أسمع أقدر لك كل هذا وأشكرك على هذا الاهتمام لكنني لا أملك الوقت لهذه الألعاب الطفولية أبحث عن غيري لتلهو معه

سأل بجدية ممزوجة بالحزن

- هل أبدو لك كمن يلهو ؟

- لا يههم

- بلى ، يهمني رأيك

صمتت

لاتملك ردا أمام إصرار عينيه

- لايمكنك الإستهتار بمشاعري ، أنا أعرض عليك حبا كرجل لا كطفل يبحث عن تسلية ، أي إثبات تريدين ، أنا مستعد لفعل كل ما ترغبين به

- وأنا أرفض حبك

قالتها بوضوح

إكتمل عدد الركاب وتحركت الحافلة

بقي صامتا

تمنت لو يقل كلمة واحدة لكنه ظل صامتا

وصلت الحافلة إلى باب الجامعة

تركها تذهب بسهولة

لم يعترض

لم يلحق بها

وكان ما بينهما أنتهى هنا

جلست في المقاعد الأمامية لقاعة الدراسة  
رغم ذلك لم تكن تسمع ما كان المحاضر يتحدث عنه  
لم تكن ترى أحدا  
ولا أحد  
الآن هي تحبه  
وقعت للتو في حبه  
لكنه ذهب  
ظلت كلماته تتردد في أذنها  
صدى صوته ملاً القاعة والانكسار في عينيه مزق قلبها  
لماذا فعلت هذا  
مرت ثلاثون يوماً على ذلك اللقاء  
كانت تنتظره في ذات المكان  
تتأمل كل ركاب الحافلة وتفسح له المكان قربها  
لكنه لم يأتي  
كان موقف الحافلات يضم الجميع إلا من تبحث عنه عينيها  
الطرق خالية من خطواته  
وكانه لم يكن يوماً في هذه المدينة وكان كبطل ورقي من نسج خيالها  
يقولون ان الزمن كفيل بتغيير العلاقات والقلوب  
يقرب منها من يقرب ويبعد من يبعد  
الوقت جعلها أقرب إليه  
حوله من غريب في عالمها إلى مالك لنبضات قلبها  
كانت تنظر الى الفراغ من زجاج الحافلة وتفكر به  
- مرحباً  
وكانها سمعت صوته  
لكم إشتاقت إلى ذلك الصوت  
- حوريّتي  
حولت بصرها إلى المقعد المجاور لها  
وكان هو بدمه ولحمه  
نفس الملامح الدافئة والإبتسامة  
- أنت

هز رأسه قائلا وهو يلمح الشوق يقفز من خلف عينيها بلهفة

- نعم ، أنا

تمالكت نفسها وهي تتذكر آخر لقاء بينهما وكيف أنه تركها تذهب ببساطة وكأنها لاتعنيه

- إشتقت اليك جدا ، ألم تشتاقي لي ولو قليلا

- أين أحنفيت

- سؤالك يوحي بأن أمري بات يهملك

- لايهمني

- حسنا

مرت بينهما لحظة صمت فاترة

- أين ذهبت؟

- لا مكان محدد ، حاولت أن أبتعد عنك ولم استطع ، قاومني قلبي وذلتني نظرتك المتشككة لي

- أعتذر لم أقصد الإساءة اليك

- يمكنني قبول إعتذارك إن وافقت على دعوتي على كوب قهوة

- الآن لايمكنني لأن الوقت متأخر لكن غدا أوافق

- إتفقنا إذا

- - لدي سؤال

- اسألي كما تشائين

- لماذا تستقل هذه الحافلة كل يوم ، إلى أين تذهب

- إلى مكان عملي

- أين يقع

- تركت محطتي قبل نصف ساعة سأوصلك إلى المنزل وأعود إليها

ضحكت بصوت خافت حتى لاتفقت نظر الآخرين

- لايعقل

- بلى ، ما لايعقل أن أتركك تذهبين وحدك

- ما الذي سيحدث لي ، سنوات وأنا أروح وأغدو بمفردي دون مرافق

- أنا هنا الآن

- ستحرسني إذا

- سمها كما يحلو لك

نادى عليهما جامع النقود

- مرحباااا ، لقد وصلنا ، نزل الجميع إلا أنتما

بالفعل لم يكن هناك أحد سواهما

أمر غريب

ترجلا من الحافلة على ضحكات السائق ومساعدته وكأنهما ضبطا بجرم الحب المشهود

هذه المرة لم تصرخ لتجمع الناس حولهما

لم تعترض على سيره قربها

كانت مسالمة بشكل لا يصدق

قطع الصمت بينهما وهما ينعطفان نحو الطريق المؤدي الى منزلها

- أتعلمين ، قبل شهر من اليوم ظننت بأنك مغرمة بأحدهم لكن الآن قلبي أطمأن

- لا وقت للحب في حياتي

- لماذا تقسين على نفسك ، كل الفتيات في عمرك لديهن حبيب

- لست مثلهن

- بل أجمل منهن

توقفت فجأة وهي تقول غاضبة

- هل أنت أعمى ألا تراني جيدا

- بل أراك بكل وضوح وأكثر من المرات السابقة

- لتكن حقيقي معي ، ألا تخاف مني

إقترب منها حتى لامست أنفاسها الغاضبة وجهه وهو يقول

- لا لا أخاف منك ، أنت أجمل نساء العالمين في عيني ، هذا السبب الذي زرع ثقتك بك لايزيدك إلا جمالا وتميزا

- أنا مصابة بالمهق

- الألبينو مرض وراثي مثل كل الأمراض الأخرى أغلبنا يعاني من مرض أو آخر أهذا يعني أن ننغلق على أنفسنا ونقاطع العالم

- أنت لاتسمع مايقوله الآخرون عني وعن مرضى

- لو كان الأعرج يخجل من إصابته بالعرج ويهتم لما يقوله الناس عنه ما خرج من بيته خطوة ، لو كان مريض الإيدز والحمى وغيرها وغيرها يستحون من أمراضهم ما وجدتي في الشارع أحد ، جميعنا مرضى ولايحق لنا أن نشمت أو نسخر من مرض الآخريين

- ما تقوله مجرد كلام

- لكنني مقتنع به ، أنا أحبك كلك على بعضك هكذا دون أي شيء آخر

- لن تتحمل سخرية الآخريين عندما يعرفون بأنك تحب فتاة ألبينو

- أنتي الآخريين وأنتي كل ما يهمني ، ليللم أولئك الآخريين عاهاتهم عنا فقط

- ليتني أستطيع تصديقك

- خذي كل وقتك ، سأكون كل العمر هنا

كانت قد وصلت إلى باب المنزل

تركته مودعة على أمل اللقاء غدا

كان يكبر في قلبها مع كل كلمة يقولها وتزداد تعلقا به

رجل مثله بوسع أي أنثى ان تغمض عينيها بإطمئنان وتدعه يقود حياتها كيفما يشاء  
تألفت في فستان أخضر يحتوى على حزام في الخصر مع حقيبة يد وصندل من اللون الأسود  
زينت وجهها بالمكياج وتعطرت بعطرها المفضل

أخبرها قبل قليل بأنه ينتظرها على بعد شارعين من المنزل  
لأول مرة في حياتها كذبت على أمها وخرجت تركض إليه  
كل شي مباح في الحب والحرب كما يقولون  
مشى نحوها ليلتقي بها عند منتصف الطريق

- مرحبا

تعانقت أناملهما في حديث صامت

- مرحبا

نبيهته بحياء

- يدي

كان غارقا في النظر إليها لحد أنه نسي أن يترك يدها بعد السلام  
أعذرت

قالها وهو يفلت يدها ثم أضاف

أكل هذا لأجلي أنا

تهربت من عينيه ونظرت الى الأرض هامسة  
لا أدري

أشعر بأنى الرجل الأكثر حظا في الدنيا

كلماتك تصيبني بالتوتر لا أعرف كيف أرد عليها

يمكنني قراءة الرد من عينيك

- أين سنذهب

- سأأخذك قيسك إلى أحب الأماكن إليه

رفعت عينيها إليه متسائلة دون أن تقول شيئا

- أسمى قيس والبعض يناديني دكتور قيس فأنا أعمل كطبيب في ذلك المستشفى الحكومي الذي تمر به الحافلة

- أنت طبيب

هز رأسه مؤكدا

- أجل

- لا يبدو عليك



- لماذا

- لا أدري تبدو متواضعا جدا وعادي مثلنا

ضحك بشدة وهو يقول

- كل الأطباء هكذا ، نحن ملائكة الرحمة كما تقولون

- في أي مجال تعمل

- ماذا برأيك

فكرت قليلا ثم خمنت

- طبيب أطفال

رد ببساطة

- أتمنى لو كنت كذلك حتى لا أأخذك لكنني طبيب قلب

شهقت غير مصدقة

- طبيب قلب مرة واحدة

- ما بك

- أشعر بأنى أمام شخص عظيم

- أنتي أمام رجل يحبك بكل جوارحه فقط وطبيب يحاول أن يكون رحيماً بالمرضى لايملك نقود ولا سيارة ويعمل في مستشفى حكومي ، لنذهب وإلا أوسعنى المارة ضربا كما فعلوا بي من قبل

تغيرت نظرتها إليه

تحولت من الحب إلى العشق

أي صدق يملأ قلبه

أي نقاء يلون روحه ليكون هكذا بكل هذه الشفافية والنزاهة والشرف

أوقف لهما سيارة أجرة وهو يعلق

- لن أأخذك بالحافلة مع كل هذا الجمال الذي يخصني

توقفت السيارة وفتح بابها قائلا

- تفضلي يا قمر

ذهلت مرة أخرى لمعرفته اسمها الحقيقي فهي لم تخبره به بعد

أخبر السائق عن المكان وهو يجلس جوارها وأنطلقت بهما السيارة تسابق الريح

علقت وهي تعتدل في جلستها تاركة مسافة بينها وبينه

- كيف تعرف أسمى

- تعنين قمر جلال الدين ابنة الصحفي الثوري جلال الدين هاشم أم حوريتي أنا

- كيف تعرف عني كل هذا

- ومن غيري يحق له معرفة كل شيء عنك

ردت مبتسمة

- لا أحد

سندهب إلى مقهى هادئ أعدت قضاء ساعات فراغي فيه ، أنه مقهى جميل ستحبيبه

- حسنا

- أخبريني عن أماكنك المفضلة غير الجامعة والمنزل

قالت بحزن

- أنا لا أذهب إلى أي مكان غيرهما

أحتوى أناملها بين يديه

- من الآن ستذهبين إلى كل الأماكن الجميلة في المدينة ، أعدك ، سأخذك إليها الواحد تلو الآخر

هزت راسها موافقة

وصلا إلى المقهى

كان جميل وهادئ كما وصفه لها تماما

أختار لهما مكان رومانسي في أحد أركانه بعد أن عرفها على العاملين به والذين كانوا على علاقة جيدة معه

ردت تحاياهم بمودة وقد بدأ العرق يتصبب من جبينها بسبب نظراتهم لها

أمسك يدها بقوة ليبعدها عنهم قبل أن تغادر المكان هربا وأجلسها على الكرسي

كانت تستمد القوة منه لتواجه مثل تلك النظرات

تمتتمت

- أريد أن أذهب ياقيس

جذب الكرسي الآخر ليجلس عليه أمامها

- لن نذهب يا حبيبتني ، أنهم يغارون منك جدا ، مرأتك عيوني أنا وليس هم

- أنهم يسخرون منك أيضا

- أخبرتك من قبل وسأقولها مجددا ، لا أهتم لهم

ثم وقف على قدميه وهو يقول بعلو صوته

- سلام الحب عليكم جميعا يا أصدقاء ، اليوم أنا سعيد جدا لأن حبيبتني معي تلك الحورية التي تفوق النساء جمالا وأنوثة ،

أطلب فقط من المتطفلين هنا إن وجدوا بالإهتمام بما يعنيههم وتركنا وشأننا

تداخلت أصوات الضحك مع عبارات الاعتذار وشكرهم وهو يجلس أمامها مؤكداً

- أنا هنا لاتخافي

كانت الدموع تملأ عينيها

تنهد وهو يمسح عينيها بيديه

- لا يهم إن لم نتقي بنفسك ، ثقي بي

قالت من خلف دموعها

- أنا أثق بك

مرت بضع دقائق

عادت إلى طبيعتها وإبتسامتها

وتقاسمت معه كوب قهوته وهما يضحكان

مر الوقت وكأنهما في عالم لا يمت بصلة لعالم البشر

كان من أجمل الأيام في عمرها

كانت طبيعية جدا ولم تشعر للحظة واحدة بأنها تختلف عن أي أحد  
تفارقا على مسافة قريبة من منزلها ووقف يودعها حتى توارت خلف الباب

أستقبلها والدها عند الباب حيث كان على وشك الخروج

سلمت عليه

- أين كنت يا صغيرتي

تلعثمت قائلة

- كيف كان يومك بابا

- جيدا

- أين أمي

- في المطبخ

هربت مسرعة قبل أن تضطر الى الكذب عليه

إقتحمت المطبخ معانقة أمها

- حبيبتي الغالية

- هل عدت

- نعم

- كيف كان احتفال الجامعة

- جيد

نظرت إليها أمها متفحصة

- يبدو أكثر من جيد

تذوقت القليل من الطعام الذي كانت تعده أمها ولم تجب

- ما أسمه

- من يا ماما

- الذي سرق قلب أبنتي

من الغريب أن الإنسان بوسعه الكذب على أي أحد إلا أمه

- قيس

- قيس بن الملوح

أنفجرت ضاحكة وهي تقول

- ماما

تركت أمها كل ما تقوم به ووجهت تركيزها عليها

- من إذا

- قيس آخر غير ابن الملوح

- أخبريني أكثر

أخذت تسرد التفاصيل على أمها التي كانت تستمع اليها بتركيز عالي

عندما أكملت قالت أمها معلنة

- أتصلي به ، دعيني أتحدث إليه

- أمي أرجوك لاتحرجيني

- إن كان يحبك كما يدعى فلن يكون تعريفي عليه إحراجا ، هيا أتصلي به

لم يكن أمامها خيار آخر

أتصلت برقمه وانتظرت رده على الطرف الآخر

- حوريتي

- مرحبا

- مابك

- ماما تريد التحدث اليك

صمت قليلا ثم قال

- حسنا

أعطت الهاتف لوالدتها ووقفت قربها بإنزعاج

- كيف حالك يابني

قالت ذلك وهي تخرج من المطبخ نحو غرفتها طالبة من قمر البقاء حيث هي

إستسلمت منصاعة لأوامر أمها والفضول يقتلها لمعرفة ماستقوله والدتها له

مرت عليها الثواني كالدهر حتى أتت أمها مبتسمة

- أحببته

قفزت لتضم أمها بفرح

- أنه رجل بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ، لا خوف منه

سعدت للأنطباع الذي تركه قيس في نفس أمها

أخذت منها الهاتف وقبلتها بسعادة وهي تجري على غرفتها

عاودت الإتصال به

عندما جاءها صوته هتفت به

- قيس ماذا قلت لأمي

رد عليها بثقة

- هذا الأمر بيني وبينها

- قيس

- لن أخبرك يا حوريتي فلاتجبريني على الكذب عليك

- حسنا ، أين وصلت

- قريب من المستشفى

- حسنا
- أحبك جدا
- لم ترد
- حينما أنهى عملي سأهاتفك
- كن بخير
- ثم
- ماذا
- تحدثت إلى أمك وأصبحنا في حكم المخطوبين أليس من حقي أن أسمع تلك الكلمة
- أي كلمة
- تعلمين ما أقصد
- ليس اليوم
- متى ؟
- قريباً
- متى
- وداعا ياقيس أمي تناديني
- قبل أن يضيف كلمة أخرى كانت تضع الهاتف على الطاولة معلنة إنتهاء المكالمة بينهما

وجدت أمها في غرفتها  
قفزت على السرير قريبا وهي تقول بمودة  
- أمي  
- نعم  
- هل أنتي غاضبة مني ، حدث كل شيء بسرعة كنت سأخبرك  
شملتها أمها بنظرة حنون ثم قالت  
- أنه رجل صادق  
- ما الذي قاله لك لينال إعجابك بكل هذا القدر يا أمي  
-- قال ما ينبغي أن يقال  
- أخبريني  
- ألم يخبرك هو عما تحدثنا عنه  
- لا  
- توقعت هذا من رجل مثله  
- هيا يا أمي أخبريني  
- طلبت منه التقدم لخطبتك رسميا خلال هذا الشهر إن كان يحبك كما يقول ، أتريدين معرفة رده  
كانت مذهولة مما تقوله أمها فهزت رأسها بصدمة وشفقتها عاجزة عن النطق  
- قال بأنه لا يحتاج لأكثر من إسبوع ليتمكن من مصارحة أهله وتجهيز أحواله ، أخبرني بصدق بأنه لا يملك مالا ولا منزلا  
لكنه سيوفر لك حياة مليئة بالحب والأمان رغم بساطتها ، لقد اخترت رجلا يا أبنتي  
كانت الدموع تنساب على خدي أمها  
بينما حاولت هي إستيعاب ما يحدث الآن  
قيس وعد والدتها أن يتقدم لخطبتها بعد أسبوع  
كيف  
ولماذا لم يخبرها  
إنهما يحتاجان لوقت بعد حتى يتعرفا على بعضهما جيدا  
اليوم أول موعد لهما  
وبعد اسبوع الخطبة  
- لكن يا أمي لماذا فعلت هذا نحن بالكاد نعرف بعضنا أمحيه بعض الوقت  
- قال بأنه لا يحتاج وقتا وستتعرfan على بعضكما جيدا خلال هذه الفترة

- ما الذي سيقوله لأهله يا أمي بأنه سيخطب فتاة مصابة بالمهق وسيوافقون فوراً

- ليحارب لأجل حبه

- أنتى تدمري كل شيء يا أمي سيتركني قيس

قالت ذلك من خلف دموعها وهي تترك غرفة أمها منكسرة

ما كان يجب أن تقول الصدق لأمها

ليتها لو كذبت عليها

الآن لن ترى قيس

ستخسره للأبد

فكرت عدة مرات في الإتصال به وتراجعت بعدد تلك المرات

وعدها أن يتصل بعد أن ينهي عمله

ظلت تنتظر الى هاتفها بترقب حتى أنتصف الليل

لم تغادر الغرفة ولم تأكل شيئاً

كان الهاتف أمام عينيها كل الوقت

حتى صباح اليوم التالي

غادرت إلى الجامعة بصمت دون أن تخاطب أمها ولم تتناول كوب الشاي حتى

تأخرت عمداً في الصعود الى الحافلة ليأتي

تحركت الحافلة ولا أثر له

وصلت إلى جامعتها

أنهت يومها الدراسي وعادت الى البيت والعبرات تتلألأ في مقلتيها

لم تتصل به ولم يفعل هو

أمضت خمسة أيام تبكي على كل شيء

شعرت بأن روحها غادرت جسدها ولن تعود

في مساء اليوم السادس وهي منعزلة في غرفتها كعادتها مؤخراً سمعت والدها ينادي أسمها وهو يطرق الباب

- تفضل أبي

أعدت في جلستها إحتراماً

- أحدهم ينتظرك ، جهزي نفسك والحقي بي فوراً

لم تعترض

ريماً أقاربها يسألون عنها

- أمرك أبي

غيرت ملابس المنزل وخرجت تجرر قدميها الى مكان الضيوف

وكان قيس

دق قلبها بعنف



تعلقت عينها به لهفة

عادت إليها الروح

لم تتمكن من التحرك من مكانها غير مصدقة ما تراه

قطع المسافة بينهما وصافحها بأنامل الشوق والهبام

طلب منها والدها الجلوس

- أسمعني مايقوله هذا الشاب يا ابنتي وأحكمي لقد أخبرته رأيي و كل شروطي لكنه بصر على أن تسمعيه

ترك أبيها المجال لقيس حتى يتحدث

كان قيس يجلس هناك بضياح متأنقا

قال بصوت شعرت به يرتجف رغم قوة صاحبه

- قمر أنا أحترم العادات والتقاليد وكل هذه الأشياء لكن لايقح لأحد رفض أحد لمجرد أنه مريض أو معاق أو كفيف كما  
يقح لي إختيار زوجتي على طريقتي أنا لا على طريقتهم أنا من سأمضي معها كل عمري لا هم ، لا أرى نظرة المجتمع  
صحيحة حيال هذا الأمر ، أبسط حقوقي كرجل عاقل راشد أن أختار شريكتي وأتحمل تبعية إختياراتي ، أسرتي ترفض  
إختياري لسبب لا أجد منطقى وأنا أرفض الإنصياح لإختيارات هذا المجتمع ، وأخترتك أنت ، أتيت وحدي طالبا الزواج  
بك وأعدك ألا يصيبك مكروه ما دمت على قيد الحياة ، أعدك أن أكون على قدر حبك وثقتك فهل تقبلين حبي كرجل لا  
كشخص يلهو ويتسلى

أكمل قيس حديثه

رأت والدتها تتأمله بإعجاب ووالدها كله حيرة

- أقبل ياقيس ، لايهمني الآخرون بقدر ما تهمني أنت

بدا والدها متفاجئا بينما أحتفظت أمها بهدوئها

صاح بها والدها

- قمر ماذا تقولين هل تقبلين برجل يرفضك أهله

توسلت أبيها

- أبي أنا أحبه ، دعني أكن معه ولا تكن مثلهم ، أرجوك

- هذا مستحيل

توجه قيس نحوه وجثى على ركبتيه أمامه

- أرجوك يا عمي أعدك ألا أخذلك

فعلت قمر مثله وجثت قربه أمام والدها متوسلة

- أرجوك وافق أبي

تدخلت أمها

- أنا أوافق على قيس

ثم أضافت

- سعادة إبنتك أهم من المجتمع وتلك السعادة لن تجدها إلا مع قيس ، أعطه فرصة ليثبت لك ذلك

لم يجد والدها مهربا

لم يكن أمامه خيار آخر غير الموافقة

وتبادلا خواتم الخطبة وسط غرابة ذاك الموقف

وقف الكل عاجزا أمام حب كهذا

أمام كل هذا الصدق والنقاء والإلتزام

كان يمشي بين الطرقات معانقا أناملها بين أنامله بفخر وكبرياء

يرونه مجنونا سحرته تلك الفتاة

ويرى نفسه عاشقا خسر الجميع وريح معركة الحب